

الفصل الأول

مدخل إلى الدراسة

أولاً : الدافع إلى الدراسة وتحديد المشكلة ،

ثانياً : أهمية الدراسة ،

ثالثاً : أهداف الدراسة ،

- الأهمية النظرية ،

- الأهمية التطبيقية ،

رابعاً : مصطلحات الدراسة ،

خامساً : حدود الدراسة ،

- العينة ،

- الأدوات ،

- الأساليب الإحصائية ،

أولاً : الدافع إلى الدراسة وتحديد المشكلة :

مع الظهور السريع لثورة الجودة وتأكيدها على جودة المنتجات وجودة المخرجات، ودخول معايير الجودة وتطبيقاتها في مجالات الصناعة، والزراعة، والاقتصاد، والطب والسياسة، كان أحد نتاج تلك الثورة ظهور مفهوم جديد هو مفهوم جودة الحياة (Qol) الذي بدأ أول تطبيقاته في مجالات الطب، وعلم الاجتماع، ولكن سرعان ما دخل المفهوم بتطبيقاته إلى مجال الدراسات النفسية.

وقد مررت الجودة بثلاثة مراحل للتطور أدت إلى ظهور مفهوم جودة الحياة :

المرحلة الأولى وهي مرحلة ضبط الجودة Quality Control، ثالثها مرحلة ضمان الجودة Quality Assurance، واختتمت بمرحلة تحسين الجودة (Foley, 1999) . Quality Enhancement

كانت البداية بمرحلة ضبط الجودة منذ بداية السبعينيات وحتى نهايتها، وقد كانت جهود ضبط الجودة موجهة لإيجاد ا لمستويات الدنيا من الصحة، والأمن، والحقوق للأفراد المعاقين الذين يعيشون في المؤسسات الحكومية الكبيرة . أما مرحلة ضمان الجودة فقد امتدت من نهاية السبعينيات إلى نهاية الثمانينيات، وقد استكملت المرحلة السابقة بإضافة تقويم للخدمات العلاجية، وظهور مفهوم التحرر من المؤسسات Deinstitutionalization وظهور الخدمات القائمة على المجتمع . أما مرحلة تحسين الجودة، والتي امتدت منذ نهاية الثمانينيات وحتى الوقت الحالي، فقد هيمن عليها نموذج المخرجات، وكان المخرج المهيمن في مجال الإعاقة العقلية^[*] هو جودة الحياة .

^[*]تشير الباحثة إلى أنها تستخدم مصطلح الإعاقة العقلية Intellectual disability مع الاحتفاظ بالمصطلحات المكافئة (مثل التخلف العقلي) طبقاً لرؤيه المؤلف أو صاحب الاقتباس .

وقد كانت بداية التسعينات هي نقطة الانطلاق لسبيل من البحوث والدراسات المهمة بموضوع جودة الحياة لدى المعاقين عقلياً، ومن الصعب تحديد البدايات الأولى للمفهوم، حيث أن مفهوم جودة الحياة من المفاهيم التي تقاسمتها فروع العلم المختلفة، وقد تعددت تعريفات جودة الحياة تبعاً للتوجهات النظرية التي خرج منها المفهوم . فقد كانت البدايات الأولى للمفهوم مع استخدامه كمرادف للتقدم والرفاية وجودة المعيشة، من المنظور الاقتصادي، وفي المجال السياسي امتدت الأصول التاريخية للمفهوم إلى كتابات كارل ماركس Karl Marx والذى اهتم في كتاباته السياسية بالفارق بين الطبقات الاجتماعية المختلفة في أسلوب الحياة . وأضاف باور (Power, 2003) أن مفهوم جودة الحياة قد تم إدخاله إلى العلوم الطبية بعد أن انتقد الكثيرون ما أسفروا عنه الطب التقليدي بشأن الوفيات وإهماله للعوامل النفسية . ومن هنا فقد أصبحت جودة الحياة من المنظور الظبي دالة لجودة الرعاية الصحية . أما ميدان الإعاقة العقلية فقد تبنى وجهة نظر العلوم الاجتماعية والتي ترفض النموذج الطبي بصفة عامة كإطار فلسفى للرعاية، ويتبنى تلك الأفكار الإنسانية مثل الحياة الطبيعية Normalization، وتشجيع وإعلاء دور الاجتماعي، والتمكين . (Cummins, 2005) Empowerment

وهناك اتفاق كبير على أن مفهوم جودة الحياة هو مفهوم متعدد الأبعاد وليس أحادي البعد . وهو مفهوم له كل من المكونات الذاتية Subjective والموضوعية Objective، وتكمم قيمة جودة الحياة الموضوعية في أغراض المقارنة وفي تحسين جودة الخدمات، وتنبضاعل قيمتها مقارنة بجودة الحياة الذاتية، حيث أن جوهر جودة الحياة يكمن فيما يخبره الفرد ويشعر به وليس ما يملكه أو يحوزه .

وعلى اختلاف التعريفات، إلا أنها ركزت على استمتاع الفرد بإمكانياته الهامة في الحياة وإحساس الفرد بالرضا في ظل ظروفه الحالية، أي أن كل فرد في حدود إمكانياته وظروفه يستطيع أن يستمتع بإحساس من الرضا وجودة الحياة ولا يستثنى من ذلك المعاقون عقلياً أنفسهم .

وقد أشار أشرف عبد القادر (٢٠٠٥) إلى أن جودة الحياة لدى المعاقين تقوم على أساس تمكين المعاق سواءً كان طفلاً أو راشداً أو كهلاً من حقه في الاندماج أسرياً ومهنياً لتحقيق احترام الفرد المعاق وحماية حقوقه الإنسانية ودعوته للالتزام بواجباته كمواطن شأنه في ذلك شأن أي مواطن عادي يعيش في مجتمع متحضر يكفل له الحرية الاجتماعية، وينتبح الفرص المتكافئة للجميع، ويحترم القيم الإنسانية والاجتماعية لأفراده.

وقد انطلق الاهتمام بجودة الحياة لدى المعاقين عقلياً من مبدأ حقوق الإنسان Human Rights، وأن الناس جميعاً متساوون في حقوقهم في الاستمتاع بجودة الحياة. وقد أشار "فليمنج - كاستالدي" (Fleming - Castaldy, 2008) إلى أن الاعتراف بجودة الحياة كحق أساسي من حقوق ا لمعاقين كان من خلال منظمة الصحة العالمية (WHO, 2000).

وكان للاهتمام المتزايد بدراسة مفهوم جودة الحياة لدى المعاقين عقلياً مبرراته التي من أهمها تزايد حركة تمكين العميل وتركيزها على التخطيط المتمركز على الشخص . ومن هنا أصبح تحسين جودة حياة المعاقين هدفاً لل كثير من الدراسات والبحوث المهتمة بدراسة فئة المعاقين عقلياً، وقد أشار شالوك (Schalock, 2004) إلى أن تحديات العمل في جودة حياة المعاقين عقلياً، لم تقتصر على مجرد تقييم المفهوم؛ ولكن أيضاً التغلب على الاعتقاد السائد لدى الكثيرين من أن تحسين جودة الحياة enhanced Quality of life عقلياً، هو هدف واقعي يمكن تحقيقه لدى المعاقين عقلياً.

وقد أشار سالبي (Saleebey, 1992) إلى أن كلاً من منظور القوى Social Competence ومنظور الكفاءة الاجتماعية Strengths Perspective يؤكدان أن المعاقين عقلياً لديهم قوى وكفاءات، عند تفعيلها يمكن أن تؤدي إلى أدوار ذات قيمة، وجودة حياة مرتفعة . ويعود منظور القوى على قدرات وتنقاضيات، وموهاب، وموارد، ورغبات، وتقدير شخصية وطموح المعاق : (Cited in : Lecher, 2002) وهو ما أكدته أشرف عبد القادر (٢٠٠٧) من أن المعاقين عقلياً

يعتبرون من العاديين في حدود قدراتهم وأنهم قادرون على العطاء في حدود ما يتدربون و يؤهلون عليه .

ولقد لقى مفهوم الاستقلال الذاتي Self - Determination (SD) في السنوات الأخيرة اهتماماً متاماً واستخداماً واسعاً في مجال الإعاقة العقلية بهدف تأهيل المعاقين عقلياً للاندماج المجتمعي، وأصبحت تربية مهارات الاستقلال الذاتي مدخلاً هاماً لتحسين جودة الحياة لدى هذه الفئة . فقد أثبتت دراسات عديدة وجود ارتباط كبير بين الاستقلال الذاتي وجودة الحياة لدى المعاقين عقلياً ومنها دراسة " ويمير " و " شوارتز " (Whemeyer, & Schwartz, 1998)، و دراسة ساندبرج (Sundberg, 2005) ، و دراسة نوتا و فياري و سوريني و ويمير (Nota, 2007) (Ferrari, Soresi, & Wehmeyer, 2007) من أقوى المنشآت بجودة الحياة وأن المستويات العليا من الاستقلال الذاتي (SD) هي مؤشر للمستويات العليا لجودة الحياة ،

وقد اتفق كثير من الباحثين على أن تربية مهارات الاستقلال الذاتي هو سبيل تحسين جودة الحياة لدى فئة المعاقين عقلياً (Schalock , 1996; Wehmeyer, & Schalock, 2003; Fleming – Castaldy, 2008).

ولذلك أصبح تربية وتحسين الاستقلال الذاتي للمعاقين عقلياً أو الإعاقات النمائية بصفة عامة، هو محور تركيز هام لأزمات الإعاقة وأشكال الدعم على مدار الحياة وقد أثبتت دراسات وبحوث عديدة أن المعاقين عقلياً بصفة خاصة يفتقدون إلى الاستقلال الذاتي بصورة كبيرة (Stancliffe, 1997 ; Stancliffe, Abery, & wehmeyer, 2001, Smith, 2000; Wehmeyer & Metzler, 1995).

وقد أشار الكثير من الباحثين إلى أهمية مهارات الاستقلال الذاتي ودورها الفعال في تحقيق الاندماج المجتمعي الناجح للمعاقين عقلياً (parschiv, 2000) فذكر ويمير (Wehmeyer, 1992) أن الاستقلال الذاتي يتطلب تعليم مهارات مثل حل المشكلات، ووضع الأهداف و لضبط الذاتي، والوعي بالذات، والدفاع عن الذات ،

وقد تعددت مهارات الاستقلال الذاتي تعددًا كبيرًا في الدراسات والبحوث المختلفة؛ إلا أن هناك اتفاقاً فيما بينها على أهمية مجموعة من المهارات بالنسبة لتحسين جودة الحياة لدى المعاقين عقليًا وهي مهارات الوعي بالذات، والاختيار، وحل المشكلات البينشخصية (الاجتماعية)، والدافع عن الذات . فأشار كامينز (Cummins, 1999) إلى أن الاختيار واتخاذ القرار هي مهارات تعني أن يكون الفرد إنساناً Human وأن التدخلات المقصودة التي تمنح العملاء اختياراً أكثر ينبغي أن تجاهله فكرة أن ذوي الإعاقة انت النمائية هم إما أطفال إلى الأبد eternal children أو أنهم دون البشر Less than human .

وتعد مهارة الوعي بالذات من المهارات المشتركة في معظم تصنيفات مهارات الاستقلال الذاتي ومكوناً أساسياً في معظم برامج تنمية مهارات الاستقلال الذاتي المقدمة للمعاقين عقليًّا، وقد أشارت سامية القبطان (٢٠٠٩ : ١٣-١) إلى أن معظم مدارس علم النفس على اختلاف مفاهيمها وطراائفها قد أكدت على أن وعي الفرد بالأحداث الانفعالية التي يمر بها يؤدي إلى تغيرات مرغوية في سلوكه .

كما أشارت فيوليت فولاد (٢٠٠٥ : ٥٣) إلى أهمية الاهتمام بإعداد البرامج التي تسعى إلى مساعدة الطفل المعاق من فئة القابلين للتعلم على تفهم نفسه وتقبل ذاته، وأن يدرك أنه مثله مثل أي إنسان آخر، وأن يشعر بأن الآخرين يتقبلونه كما هو، وأنه يجب عليه أن يتقبل هو أيضاً نفسه .

وتعد مهارة حل المشكلات الاجتماعية من المهارات التي تمثل جانباً هاماً من جوانب القصور لدى فئة المعاقين عقليًّا، وهو ما أشار إليه أجران، وبلانكارد، وهبيوز، وبمير (Agran, Blanchard, Hughes, & Wehmeyer, 2002) من أن حل المشكلات قد تم تحديدها على أنها مكون أساسي في تحسين الاستقلال الذاتي، فالخبرة المحدودة في حل المشكلات قد تؤثر تأثيراً كبيراً على فرصة الفرد لتحقيق جودة حياة ذات مستوى أعلى .

وتعد فترة المراهقة هي فترة حاسمة بالنسبة لنمو مهارات الاستقلال (Price, Wolensky, & Mulligan, 2002) ، كما يعد افتقاد مهارات الاستقلال الذاتي عقبة رئيسية لتحقيق مخرجات إيجابية بعد المدرسة (Izzo & Lamb, 2008) .
وإذا كان هدف البرامج المقدمة للمراهقين المعاوين عقلياً هو تحقيق الاندماج المجتمعي الناجح لهم، فإن تنمية مهارات الاستقلال الذاتي هي وسيلة لتحقيق ذلك؛ ومن هنا كان تنمية مهارات الاستقلال الذاتي محور العديد من الدراسات والبرامج، ومن أهم هذه الدراسات دراسة إيري ورودراد، وأرندت، وتشوبين، وإيجيبن، (Abery, Rudrud, Arndt, Schauben, & Eggebeen, 1995) ، ودراسة بانج (Nezo, & Glago, 2005)، ودراسة جلاجو (Bang, 2004) ، ودراسة نيزو ونيزو (Nezo, 1991)، ويمير وبولدينج (Wehmeyer & Boding, 2001) .

وعند اختبار الدرجة التي عندها يصبح الفرد مستقلأً ذاتياً، فهناك اثنان من العوامل الرئيسية المسهمة والتي ينبغي أن توضع في الاعتبار : الأول هو قدرة الشخص على التصرف بصورة مستقلة ذاتياً، وبختصر هذا الجانب بتحديد المهارات الالزامية للفرد، والعامل المهم الثاني هو الدرجة التي عندها تتيح بيئه الفرد له فرصاً لممارسة الضبط في حياته (Wehmeyer & Gamer, 2003) وهو ما سبق أن أشار إليه رويسيلر (Roessler, 1990) من أن المرشدين المتخصصين في توجيه جودة الحياة ينبغي أن يعملا من المنطلق ال كلي الشامل الذي يتناول تنمية كل من الفرد والبيئة التي يعيش فيها .

- تحديد مشكلة الدراسة :

لا شك أن أثر الإعاقة على الفرد المعاوّق وعلى المجتمع تفرض الاهتمام بالبحث عن كيفية تجنبها بالوقاية من حدوثها وبتجنب أسبابها، والحد من آثارها البدنية والنفسية والاجتماعية حال حدوثها، وذلك بتحسين جودة الحياة من خلال جودة البرامج الوقائية والعلاجية (أشرف عبد القادر، ٢٠٠٥)، وقد أكد سميث (Smith, 2002) أنه يمكن تحسين جودة الحياة لدى

المعاقين من خلال تقديم بعض البرامج التي تعمل على زيادة مشاركتهم في أنشطة الحياة اليومية وتكسبهم مهارات خاصة من أجل تقليل أثر مشكلات الإعاقة.

وتعد جودة الحياة من المفاهيم الحديثة التي أحدثت تغييرًا إيجابياً ملحوظاً في طرق التعامل مع المعاقين عقلياً وتناول القضايا الهامة التي تخص هذه الفئة، وقد أصبحت جودة الحياة والإحساس بالسعادة والاستمتاع بجوانب الحياة المختلفة حقاً من حقوق الإنسان بما فيهم المعاقين عقلياً أنفسهم؛ ومن ثم أصبح تحسين جودة الحياة هو هدف البرامج المقدمة للمعاقين عقلياً، إلا أن تحقيق هذا الهدف له وسائل ومدخلات عديدة، وقد أثبتت الدراسات والبحوث أن أهم مداخل تحسين جودة الحياة لدى المعاقين عقلياً في مرحلة المراهقة - وهي مرحلة انتقال هامة - هي تنمية مهارات الاستقلال الذاتي لديهم من أجل تأهيلهم للاندماج المجتمعي الناجح.

وقد وجدت الباحثة أن جودة الحياة ومهارات الاستقلال الذاتي لدى المعاقين عقلياً من الموضوعات التي تلقى اهتماماً عالمياً واسعاً على مستوى البحوث والدراسات الأجنبية؛ إلا أنه - في حدود علم الباحثة - توجد ندرة في الدراسات العربية التي تتناول جودة الحياة وتنمية مهارات الاستقلال الذاتي لدى المراهقين المعاقين عقلياً القابلين للتعلم وهو ما دفع الباحثة إلى إجراء الدراسة الحالية . وعلى ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات الآتية:

- ما مدى فاعلية برنامج إرشادي في تنمية مهارات الاستقلال الذاتي لدى عينة من المراهقين المعاقين عقلياً القابلين للتعلم؟
- ما مدى تأثير البرنامج الإرشادي المستخدم في تحسين جودة الحياة لدى عينة الدراسة؟

ثانياً : أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة الحالية في شقين :

الأول : الأهمية النظرية للدراسة .

الثاني : الأهمية التطبيقية للدراسة .

١-الأهمية النظرية للدراسة :

تكمّن الأهمية النظرية للدراسة الحالية في النقاط التالية :

- أنها تتناول جودة الحياة، كأحد متغيرات الدراسة، وهو مفهوم حديث نسبياً وأحد المخرجات الهامة لعلم النفس الإيجابي Positive Psychology الذي يهتم بدراسة الظواهر الإيجابية وبهتم أيضاً بجوانب القوة والجوانب الإيجابية لدى الأفراد بدلاً من التركيز على جوانب الضعف والقصور؛ ومن ثم تحاول الدراسة الحالية الإسهام في التأهيل النظري لهذا المفهوم حديث التناول مع فئة المعاقين عقلياً.
- إضافة مقياسين جديدين إلى التراث السيكولوجي الخاص بالمعاقين عقلياً، وهما مقياسي مهارات الاستقلال الذاتي، ومقياس جودة الحياة، وأهم ما يميزهما اعتمادهما على التقرير الذاتي، أي الاعتماد على المعاقين أنفسهم كمصدر للمعلومات وهو خطوة من خطوات الاستقلال الذاتي والتمكين النفسي لهذه الفئة.
- تستمد الدراسة الحالية قدرًا من الأهمية في تناولها المراهقين المعاقين عقلياً، وهي فئة التي لا تزال في حاجة إلى مزيد من الاهتمام.

٢-الأهمية التطبيقية للدراسة :

لا تكتمل أهمية الدراسة إذا توقفت عند حد التنظير فقط لمتغيرات بحثية،

ومن هنا فالدراسة الحالية لها أهمية تطبيقية تتمثل في :

- اهتمامها بتنمية مهارات الاستقلال الذاتي وهو ما دعا إليه سيليجمان (Seligman, 2002) من ضرورة صياغة وتطوير واختبار فعالية برامج التدخل لبناء وتعظيم مكامن القوة والفضائل الإنسانية، وأهمية مطالبة الممارسين المهنيين بالاقتناع بأن أفضل ما يمكن القيام به داخل حجرة الإرشاد هو تعظيم مكامن القوة والتميز الإيجابي بدلاً من إصلاح جوانب الضعف أو القصور لديهم من أجل تحسين جودة الحياة.
- إن تنمية مهارات الاستقلال الذاتي وتحسين جودة الحياة لدى فئة الدراسة إنما هي خطوة على طريق الدمج الفعلي وضمان قدر من النجاح للدمج المجتمعي لهذه فئة الهامة.

– فى ضوء نتائج الدراسة يمكن الخروج بمجموعة من التوصيات التى يمكن أن تفيد فى إعادة النظر فى التعامل مع فئة المراهقين عقلياً وتبني وجهة نظر إيجابية فى التعامل معهم باعتبارهم فئة يرجى منها الكثير وليس عبئاً وجانباً من جوانب الفقد المجتمعي .

ثالثاً : أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى :

– التحقق من مدى فاعلية البرنامج الإرشادى فى تربية مهارات الاستقلال الذاتي (الوعي بالذات – الاختيار – حل المشكلات البيينشخصية – اتخاذ القرار – الدفاع عن الذات) لدى عينة من المراهقين المراهقين عقلياً القابلين للتعلم .

التحقق من مدى تأثير تربية مهارات الاستقلال الذاتي على تحسين جودة الحياة لدى نفس مجموعة الدراسة من المراهقين المراهقين عقلياً القابلين للتعلم .

رابعاً : مصطلحات الدراسة :

١-مهارات الاستقلال الذاتي : Self – Determination Skills

وتعنى الباحثة مهارات الاستقلال الذاتي على أنها "مجموعة من المهارات الضرورية للمراهقين المراهقين عقلياً القابلين للتعلم من أجل ممارسة نوع من الضبط فى حياتهم والتقليل من التدخل الخارجى المفرط لتحقيق نواتج إيجابية وممارسة الحق فى الحياة الطبيعية والاستمتاع بجودة الحياة، وتتضمن تلك المهارات فى الدراسة الحالية مهارات :

(الوعي بالذات Choice – Making ، والاختيار Self – Awareness ، وحل المشكلات البيينشخصية (الاجتماعية Interpersonal Problem – Solving) ، واتخاذ القرار Self – Advocacy والدفاع عن الذات Decision – Making)

وتعرف إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس مهارات الاستقلال الذاتي (إعداد الباحثة).

٢- جودة الحياة : Quality of life

وتعرف الباحثة جودة الحياة في إطار هذه الدراسة على أنها : "إحساس الفرد المعاك بالرضا والسعادة بجوانب حياته المختلفة (العلاقات الأسرية - الوجود الانفعالي الأفضل - الوجود البدني الأفضل - وقت الفراغ - الاندماج المجتمعي) في ظل ظروفه وإمكاناته الحالية".

ويعرف إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها الفرد على مقياس جودة الحياة (إعداد الباحثة).

٣- الإعاقة العقلية : Intellectual Disability

عرفت منظمة الصحة العالمية (١٩٩٩ : ٢٣٨) في التصنيف الدولي العاشر للأمراض (ICD-10) الإعاقة العقلية بأنها "حالة من توقف النمو العقلي أو عدم اكتماله يتميز بخلل في المهارات يظهر أثناء فترة النمو و يؤثر في المستوى العام للذكاء (القدرات المعرفية واللغوية والحركية والاجتماعية)، وقد تحدث الإعاقة العقلية مع أو بدون اضطراب نفسي أو جسمى آخر".

وتحدد الباحثة المراهقين المعاقيين عقلياً القابلين للتعلم في الدراسة الحالية بأنهم الأفراد المعاوون الذين تتراوح نسبة ذكائهم ما بين ٥٠ و ٧٠ على مقياس ستانفورد بينيه للذكاء وتتراوح أعمارهم ما بين ١٢-١٥ عاماً.

خامساً : حدود الدراسة :

تحدد الدراسة الحالية ونتائجها بالعينة والأدوات وأساليب المعالجة الإحصائية المستخدمة للتحقق من صحة الفروض، وهي كالتالي :

أ-عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من "٨" من تلاميذ مدرسة التربية الفكرية بينها من المراهقين المعاقين عقلياً القابلين للتعلم، ممن تراوحت أعمارهم بين ١٥-١٢ عاماً ونسبة ذكائهم ما بين ٧٠-٥٠ على مقياس ستانفورد - بينيه للذكاء، وهم يمثلون مجموعة الدراسة، حيث اعتمدت الباحثة على التصميم التجريبي ذي المجموعة الواحدة والقياس القبلي والبعدي .

ب-أدوات الدراسة :

وتمثلت في :

١-مقياس مهارات الاستقلال الذاتي للمراهقين المعاقين عقلياً القابلين للتعلم .

إعداد / الباحثة ،

٢-مقياس جودة الحياة للمراهقين المعاقين عقلياً القابلين للتعلم / إعداد الباحثة .

٣-البرنامج الإرشادي
إعداد/ الباحثة .

ج-الأساليب الإحصائية المستخدمة وتشمل :

١-الإحصاء الوصفي (المتوسط - الانحراف المعياري) .

٢-الإحصاء الظاهري امتحاني المتمثل في اختبار ويلكوكسون للدالة Wilcoxon الإحصائية .